ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٣٨) - اعرف امامك (ج٣٧)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(31)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق٧)
الشأن (٢) - اركان عقيدة التوحيد (ج٦)
الركن (٢): التوحيد في آفق الحقيقة المحمدية (ق٢)

عبد الحليم الغزّي

-اركان التوحيد
-التوحيد فكرة عن الله نأخذها من المعصوم
الخميس : ٧/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ٢٠/٥/٢٠٢١م

في آخرِ الحلقة الماضية قرأتُ عليكم حديثاً مُهمَّاً جِدَّاً من الجزء الأوَّل من الكافي الشريف، عن إمامنا الصَّادقِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه وهوَ يُخبِرنا؛ "**من أنَّ الله تَبَارَكَ وتَعالى خَلَقَ اسْمَاً بِالحُرُوف غَيْرَ مُتَصَّوت**" إلى آخرِ ما قرأتهُ عليكم من الحديثِ الشريف.

تذَكَّروْا دائماً كلمتَيّ إمامنا الرِّضا صلواتُ الله عليه عن الله سُبحانَهُ وتَعَالى:

إمامنا الرِضا يُخبرنا عن الله فإنَّ الله هو الَّذي يقول: "**لَا إِلَهَ إِلَّا الله حُصْنِي فَمَن دَخَلَ حُصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي**".

وهوَ الَّذي يقولُ أيضاً: "**وَلَايَةُ عَلِيِّ بن أَبِي طَالِبٍ حُصْنِي فَمَن دَخَلَ حُصْنِي أَمِنَ مِنْ عَذَابِي**".

أتمنى عليكم أن تصبروْا عليَّ حتَّى أكملَ الحديثَ في الشأنِ الثاني من شؤونِ عقيدة التوحيد، وهوَ الَّذي أنا بصددِه، ليْسَ في هذهِ الحلقةِ فقط وإنَّما في الحلقاتِ الَّتي تقدَّمت وفي هذه الحلقة وفيما سيأتي من حلقاتٍ قادمة.

عقيدتنا التوحيديةُ بحسبِ ثقافَةِ العترةِ الطاهرة تشتملُ على:

- شأن التأسيس وهو القاعدةُ الَّتي نبنيَ عليها فكرنا التوحيدي.
- بعد ذلك يأتينا الحديثُ في أركانِ عقيدتنا التوحيدية إنَّها الأركانُ الأربعة الَّتي أشرتُ إليها قبلَ قليل.
- بعد أن يكتملَ الحديثُ في هذهِ الأركان سأنتقلُ بكم إلى الشأن الثالث من شؤونِ عقيدة التوحيد؛ العبادة، العبادةُ التوحيدية.

فإذا ما تمَّ الكلامُ في العبادةِ التوحيديةِ لأنَّني سأُحدِّثكم في العبادةِ التوحيدية عن أهمِّ أمرين فيها:

- النيّةُ.
- والجهةُ الَّتي نتوجّهُ إليها.

إذاً نعودُ إلى إكمالِ ما تقدَّمَ من حديثٍ في الحلقةِ الماضية، حيثُ وصلنا إلى هذا الحديث المهم، والحديثُ هذا عن إمامنا الصَّادقِ يتناولُ هذهِ الحقائق.

أوَّلاً: أُخبِركُم من أنَّ الحديث قد وَرَدَ في أقدمِ مصادرنا الحديثيةِ الَّتي تخصَّصت في موضوع التوحيد.

المصدرُ الأوَّل وهو الأصل: الكافي الشريف، في الجزء الأوَّل في كِتاب التوحيد.

والمصدرُ الثاني: هو كتابُ التوحيد لشيخنا الصدوق.

في نُسخة كتاب التوحيد لل صدوق، طبعةُ مؤسّسة النشر الإسلامي / قم المقدَّسة / وقد أوردَ الحديث في صفحة (١٨٥)، الحديثُ الثالث، صفحة (١٨٥)

أورد الحديث الَّذي نحنُ بصدده والَّذي قرأتهُ عليكم في الحلقة الماضية من الكافي لشيخنا الكليني.

إذاً هذه أهمَّ كتبنا في التوحيدِ الَّتي تشتملُ على حديثهم، على رواياتهم، على ثقافتهم، على عقائدهم، على العقيدة الَّتي يريدون منَّا أن نتمسّك بها:

- فالحديثُ موجودٌ في الكافي في كتاب التوحيد.
- موجودٌ في كتاب التوحيد للصدوق.
- وموجودٌ في كتاب التوحيد الَّذي هو من جُملة أجزاء موسوعة بحارِ الأنوار.

قالوْا عن هذا الحديث: منَ أنَّهُ من الأحاديث المتشابهَة، ولذا شَرقوْا وغربوْا فيه وأكثرهم فروْا منه وأعرضوْا عنه، قطعاً نحنُ عندنا أحاديث مُتشابهة، حديثُ أهلِ البيت كحديث القُرآن، القُرآنُ فيه مُحكمٌ ومتشابه، وحديثُ أهل البيت فيه محكمٌ ومُتشابه.

لكنَّ السؤال هنا: **هل هذا الحديثُ من الأحاديث المتشابهة بحسبِ الأصل؟ يعني أنَّ الإمام المعصوم جعلهُ حديثاً متشابهاً لحكمة من الحِكَم؟**

إنَّني أقولُ: لا ولا ولا، هذا الحديثُ من الأحاديث المحكمة، لكن طرأ عليهِ ما طرأ من تشابُه.

هناكَ تشابُهٌ يطرأ على الأحاديث لسببين:

السببُ الأوَّل : بسببِ الرواة، يحذفونَ قسماً من الحديث، ليسَ بقصد سيئ وربَّما بقصد سيئ، ما يدريني! هناكَ بسبب الرواة يقعُ حذفٌ لبعض كلمات الحديث أو لجانبٍ مهمٍ من الحديث، أو أنَّهم يُقدِّمون ويُؤخِّرون، فيأتي الحديثُ مُرتبكاً، عمليةُ تحريف قد تكونُ مقصودةً، قد تكونُ ليستَ مقصودةً، في الأعمِّ الأغلب لا تكون مقصودةً، وإنَّما بسببِ ضعف الذاكرة، أو بسببِ ضعف الفهم، أو بسبب النُسّاخ، فالنُسّاخُ يُخطئون، يشتبهونَ في نقلِ الحديث، في بعض الأحيان يلتفتونَ إلى هذا الاشتباه لكنَّهم لا يريدون أن يتعبوْا أنفسهم، فهم يشتغلونَ بأجرة، هُم عُمَّالٌ عندَ الَّذين شغَّلوهم للكتابة، فمثلاً يشترطُ عليهم مسؤول العمل من أن يكتبوْا من دونِ خطأ، فيقعونَ في الأخطاءِ فلأجلِ أن لا يعيدوْا الكتابة من جديد يُمررونَ أخطاءهم ويكونُ هذا التحريفُ تحريفاً مُتعمّداً، الحكايةُ فيها تفصيلٌ كثير.

هناك أمرٌ ثانٍ يسببُ التشابه في الحديث ؛ هوَ في منهج الفهم، ويشيعُ فهمٌ في الوسط الشيعي أو في الوسط العُلمائي من علماء الشيعة يَشيعُ فهمٌ ليسَ صحيحاً عن الحديث، وبسببِ هذا الفهمِ غيرِ الصحيح يُقالُ عن الحديثِ من أنَّهُ حديثٌ مُتشابه، وهذا هو الَّذي وقعَ أيضاً بخصوصِ هذا الحديث.

أضربُ لكم مثالاً: هذا هو الجزء الرابع من بحار المجلسي، ذكر الحديث في صفحة (١٦٦)، رقم الحديث (٨)، نقلهُ عن كتاب التوحيد.

الموجودُ في كتاب التوحيد هو نفسهُ الموجودُ في الكافي الشريف: (**فَالظَّاهِرُ هُوَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**)، حينما تحدَّث الحديثُ عن الاسمِ الظاهرِ من الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، (**فَالظَّاهرُ هُوَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**).

الَّذي جاء في بحار الأنوار: (**فَالظَّاهرُ هُوَ اللهُ وَتَبَارَك وَسُبْحَان**)، الروايةُ ذكرت من أنَّ ثلاثة أسماء قد تجلَّت من الحقيقة الـمُحَمّديّة.

بحسبِ ما جاء في الكافي وبحسبِ ما جاء في التوحيد: ذُكِر اسمٌ واحد هو (الله)، الاسمُ الثاني والثالث ليس واضحاً، وسأقرأ عليكم الرواية.

في بحار الأنوار جاء هكذا: (**فَالظَّاهرُ هُوَ الله وَتَبَارَكَ وَسُبْحَان**).

الشيخ المجلسي هكذا شرح الحديث: من أنَّ الأسماء الثلاثة الظاهرة من الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، قطعاً هو تحدَّث عن هذا الاسم، هو وصفَ الخبر من أنَّهُ من متشابهات الأخبار، هكذا قال المجلسي في صفحة (١٦٧): **بيان؛ اعلم أنَّ هذَا الخبر من متشابهات الأخبار وغوامضِ الأسرار الَّتي لا يعلمُ تأويلها إلَّا اللهُ والرَّاسخونَ في العلم، والسكوتُ عن تفسيرهِ والإقرارُ بالعجزِ عن فهمهِ أصوبُ وأولى وأحوطُ وأحرى** - إذاً لماذا لم تسكت؟! فدخل في شرحه بشكلٍ مُضحكٍ أضحكني ما ذكرهُ الشيخُ المجلسي.

الشيخُ المجلسيَ عدَّ الأسماء الثلاثة الظاهرة من الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة هي: (الله، وتبارك، وسبحان)، وهذا الكلامُ ليس موجوداً في المصادر الأصليةِ لهذا الحديث، والكلامُ ليسَ منسجماً، ليسَ مستقيماً.

في الكافي الشريف هكذا ورد في النص: (**فَالظَّاهرُ هُو اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**)، ولم يُشر الحديث إلى الاسمين المتبقيين، هذه قضيةٌ طارئةٌ هناكَ من ارتبك في نقل الحديث ولا أعتقدُ أنَّ الكليني هو الَّذي ارتبك في نقل الحديث، وإنَّما في من نقل عن الكليني.

والكلامُ هو هو في كتاب التوحيد للصدوق: (**فَالظَّاهرُ هُو اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى**)، بالضبط كما في كافي الكليني.

بينما في البحار: (فَالظَّاهرُ هُوَ اللهُ وَتَبَارَك وَسُبْحَان)، ثُمَّ يبدأ الشيخ المجلسي يشرحُ لنا مضمون هذهِ الأسماء الثلاثة الَّتي ظهرت وتجلَّت من الحقيقةِ الـمُحَمّديّة، من هذا الاسم الَّذي خلقهُ الله سبحانهُ وتعالى، ويُفرِّعُ ما يُفرِّع الشَّيخُ المجلسي:

- الاسمُ الأوَّلُ: (الله).
- الاسمُ الثاني: (تبارك).
- والاسمُ الثالث: (سبحان).

وآخرون أيضاً أخذوْا هذا الكلام وفرَّعوْا عليه، وأنا لا أريدُ أن أناقش المجلسي ولا أناقشُ غيرهُ مِمَّن أخذ هذا الحديث عن المجلسي وتأثَّر بكلامهِ وشرحه، لا أعبأُ بكُلِّ هذا الهُراء لا شأن لي بِه.

في الجزء الأوّل من (عيونُ أخبار الرضا) إنَّهُ إمامنا الرِّضا صلواتُ الله عليه، والكتابُ لشيخنا الصدوق، طبعةُ مؤسَّسة الأعلمي / بيروت - لبنان / صفحة ٢٦١ / الحديث التاسع والثلاثون: **بسنده، عن أبيه** - عن والد الصَدوق، إلى بقية السَند - **عن أبي حَيّون مولى الرِّضَا عليه السَّلام** - إنَّهُ أحدُ خَدَمه، من خُدَّام إمامنا الرضا، أبو حيون يُحدِّثنا عن الإمام الرضا: **مَن رَدَّ مُتَشَابِهَ القُرْآنِ إِلَى مُحْكَمِه هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم** - هذه القاعدةُ واضحةٌ مُشخَّصةٌ معروفةٌ لدينا جميعاً، ثُمَّ قال إمامنا الثامن في سلسلة الأئمَّة الاثني عشر - **ثُمَّ قَال: إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِهِ القُرْآنِ** - هذا المتشابهُ الَّذي يأتي مجعولاً مُتشابهاً من قِبَل المعصوم، هذه الأحاديثُ المتشابهةُ أصلاً، وهناكَ أحاديثُ متشابهةٌ عرضاً لا دخل للمعصومِ بتشابُهها، وإنَّما السَّببُ يعودُ إلى خللٍ في النقل أو في النسخ في الكتابة في الاستنساخ، أو أنَّ الاشتباه يأتي من سوء الفهم ويلتصقُ سوءُ الفهمِ هذا بالحديث حتَّى يُصبِحَ مُقارناً لهُ، فكُلَّما ذُكِرَ هذ ا الحديث ذُكِرَ معهُ هذا الفهمُ الخاطئ هذا الفهمُ السيئ، وبسببِ ذلكَ يُقالُ عن هذا الحديث من أنَّهُ حديثٌ متشابه، ومثلُ هذا كثير، وهذا سببهُ جهلُ مراجعنا وجهلُ علمائنا بمعاريض كلامِ أهل البيت هذا هو السبب، مشكلةُ مراجع الشيعةِ في فهم الحديث أن يأخذوْا كُلَّ حديثٍ على أنَّهُ وحدةٌ مُستقلَّةٌ عن غيرها، وبعدَ ذلكَ يفهمون الحديث بعيداً عن منظومة الأحاديث المتكاملة.

الأحاديثُ مفرداتٌ أجزاءٌ، لا يمكنُ أن نفهمها بعيداً عن المنظومة الكاملة لأدعيتهم وزياراتهم وتفسيرهم لقُرآنهم وسائرِ أحاديثهم، من هنا قالوا لنا: (**اعرِفُوْا مَنَازِلَ شِيْعَتنَا بِقَدْرِ مَا يُحسنونَ من رِوَايَتِهِم عَنَّا وَفَهْمِهِم منَّا**)، كيف يتحقَّقُ الفهمُ منهم ما لم يكن هُناك إلمامٌ بمنظومة الأحاديث، لا أريدُ أن أقولَ بكُلِّها وتفاصيلها، على الأقلِ بأكثرها، لا يتحقَّقُ حينئذ هذا الفهمُ الَّذي يتحدَّثون عنه صلواتُ الله عليهم، أن نأخذَ روايةً أو روايتين بمعزلٍ عن المنظومة كُلِّها، فإنَّ الفهم سيكونُ خاطئاً، ومن هنا يأتون بالأحاديث ولا يفهمونَ معناها، أو أنَّهم يضعونَ لها معنى خاطئاً بعيداً عن معاريضِ كلامهم، وبعيداً عن منطقِ منظومة الأحا ديث الكاملة، ثُمَّ يُقالُ عن هذا الحديث من أنَّهُ من الأحاديث المتشابهة!

أعود إلى ما حدَّثنا به أبو حيون عن إمامنا الرضا صلواتُ الله وسلامهُ عليه: **إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِهِ القُرْآنِ وَمُحْكَماً كَمُحْكَمِ القُرْآنِ** - قطعاً الإمامُ يتحدَّثُ عن الأحاديث المتشابهة بجعلٍ منه، بجعلٍ من المعصوم لحكمةٍ لغايةٍ من الغايات، مثلما هناكَ حكمةٌ تجعلُ المعصومَ يتحدَّثُ بلسان التقيّة، وهناكَ حكمةٌ تجعلُ المعصومَ يتحدَّثُ بلسان المداراة، وهناك حكمةٌ تجعلُ المعصوم يتحدَّثُ ببيانٍ جانبٍ من الحقيقة، وهناك حكمةٌ تجعل المعصوم يتحدَّثُ عن ظاهر الأمر دون باطنه في بعض الأحايين، وفي أحايين أخرى يتحدَّثُ عن باطن الأمرِ دون ظاهره، وفي مقامٍ ثالث يجمعُ لنا بين الظاهرِ والباطن، فهناك حكمةٌ أيضاً بسببها يكونُ الحديثُ متشابهاً لغايةٍ من الغايات، وفي الوقت نفسه فإنَّ المعصومَ يجعلُ الحديثَ مُتشابهاً لكنَّهُ يضعُ الحلول الكاملة في أحاديثه المحكمة، ولذا وضعوْا لنا نظاماً لفهمِ أحاديثهم هو (نظامُ المعاريض)

أعودُ إلى حديث إمامنا الرضا: **إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِهِ القُرْآنِ وَمُحْكَماً كَمُحْكَمِ القُرْآنِ فَرُدُّوْا مُتَشَابِهَهَا إِلَى مُحْكَمِهَا وَلَا تَتَّبِعُوْا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا فَتَضِلُّوْا** - أن نذهب إلى الأحاديث المتشابهة وأن نؤسس العقيدة عليها دون الرجوعِ إلى مُحكمات الأحاديث فذلكَ الضلالُ بعينه، مثلما نذهبَ إلى الظاهرِ دون الباطن، أو أن نذهَب إلى الباطنِ دونَ الظاهر، حينما نذهبُ إلى الظاهرِ دونَ الباطن فذلكَ ضلالٌ، وحينما نذهبُ إلى الباطنِ دون الظاهر فذلكَ ضلالٌ وضلالٌ أشد..

قطعاً كلامُ إمامنا الرِّضا هوَ عن الأحاديث الَّتي جُعلت أساساً بالجَعلِ المتشابه من قِبلِ المعصومِ لحكمة، وجَعَلَ المعصوم لها حلّاً في محكمات كلامه، لكنَّنا ماذا سنصنعُ معَ الأحاديثِ الَّتي ستُصبحُ مُتشابهةً لا بجعلِ المعصوم وإنَّما بطارئٍ يطرأُ عليها، مثلما بينتُ لكم قبل قليل؛ إمّا بخللٍ في النقل، وإمّا بخللٍ في الفهم، وبعدَ ذلك يصبحُ ذلكَ الفهم قريناً لتلكَ الأحاديث.

الطريقُ الَّذي نستعملهُ معَ الأحاديثِ الَّتي جُعلت أساساً مُتشابهةً أن نعود إلى المحكمات هو هو نستعملهُ مع الأحاديث الَّتي طرأ عليها التشابُه، إن كانَ بسببِ الخلل في النقل من جهةِ لفظية، أو كانَ بسببِ الخللِ في الفهم من جهة معنويَّة، ولكثرة ترديد هذا المعنى صار قريناً ومُلاصقاً ومُلازماً لألفاظ الحديث معَ أنَّ ألفاظ الحديث ليسَ فيها من خللٍ حينما نُقلت، وإنَّما الخللُ في الفهم، التشابُهُ في كِلا الأمرين في الأحاديث الَّتي لم تكن قد جُعلتَ من المعصومِ أحاديثَ مُتشابهة إن كانَ بسبب الخللِ في النقل أو بسبب الخللِ في الفهم أيضاً نعودُ إلى المحكمات، فهذا الحديثُ حديثٌ طرأ عليه التشابه بسببِ الخللِ في النقل، وبسببِ الخللِ في الفهمِ أيضاً..

فهذا الحديثُ؛ وهو حديثٌ في أجواءِ الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة لا نستطيعُ أن نفهمه بمعزلٍ عن كَمٍّ هائلٍ من النصوص والمعطياتِ الَّتي تحدَّثت عن هذا الموضوع.

على سبيلِ المثال: في الجزء الخامس عشر من (بحار الأنوار) لشيخنا المجلسي، هذا الجزء يشتملُ على كثيرٍ من النصوص والأحاديث الَّتي تَدورُ مضامينها في أجواءِ الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، هذا مثالٌ، هناكَ عدَّةُ أجزاء في شأن الولايةِ والإمامة أيضاً في (بحار الأنوار) تشتملُ على عددٍ هائلٍ، وهائلٍ جِدّاً من النصوص ترتبطُ بهذا الموضوع، لن نستطيع أن نفهم حديث الكافي وحديث كتاب التوحيد حديثُ الاسم المخلوقِ الَّذي هو غيرُ مُتصوَّت بالحروف إلى بقيَّة التفاصيل لن نستطيعَ أن نفهمهُ من دونِ الإحاطة والإلمامِ بما جاءَ في الأحاديث الشريفة في هذا الجزء مثلاً، أو في أجزاء الولايةِ والإمامة الَّتي اشتملت من أجزاء (بحار الأنوار) وهي أجزاءَ العشرينَات، اشتملت على الكثيرِ من النصوص والمعطيات، حَتَّى الجزء الأول من (الكافي الشريف)، والجزءَ الثامن ما يُعرَفُ (بكتاب الروضة) ، الجزء الأول إن كانَ ذلكَ في كتاب العقل أو في كتاب التوحيد أو في كتابِ الحُجَّة أو ما جاء من الروايات والأحاديث في كتاب الروضة، كُلُّ هذا في الكافي الشريف، فهناكَ الكثيرُ من المعطيات والكثيرُ من النصوص الَّتي ترتبطُ بهذا الموضوع، وكذلكَ ما جاءَ في (بصائر الدرجات الكبرى) ، لشيخنا محمد بن الحسن الصفار من أصحابِ إمامنا الحسن العسكري صلواتُ الله عليه، هناكَ الكثيرُ من النصوص في هذا الكتاب ترتبطُ بهذا الموضوع، ما جاء في (تفسير العياشي)، ما جاء في (تفسيرِ إمامنا الحسن العسكري صلواتُ الله وسلامهُ عليه)، ما بقي من هذا التفسيرِ بين أيدينا، ما جاء في (مختصرِ بصائر الدرجات) ، وأصلُ الكتابِ لسعدِ بن عبد الله الأشعري القُمّي، والَّذي اختصرهُ الحسنُ بن سليمان الحلي من أعلامِ القرن الثامن الهجري من علماء الشيعة، وهناك وهناك.

سأقطِّعُ لكم الحديث مقاطع حتَّى تتمكنوْا من فهمه ولن أُطوِّل في الشرح لأجلِ أنْ لا تضيع الصورةُ الكاملةُ من مضمونِ هذا الحديث وهو أصلُ مقصدي في ذكره وشرحه، لأنَّ المقصد الأصل من إيرادِ هذا الحديث أن نأخذ الصورة النهائية الكاملة الَّتي ترتبطُ بحديثي عن الركن الثاني من أركان عقيدتنا التوحيدية؛ (**التوحيدُ في أفق الحقيقةِ الـمُحَمَّديَّة**).

المقطعُ الأوَّل من الحديث:

لن أقف عندَ بيانِ ألفاظه وكلماته كَلمةً كَلمة، وإنَّما سأُشيرُ إلى مضمونه الإجمالي لأجل أن أنتفع من الوقت، المقطعُ الأوَّلُ مضمونهُ الإجماليّ: من أنَّ الحقيقة الـمُحَمَّديَّة لا نستطيعُ أنَ نشيرَ إليها لا بلفظٍ ولا بإشارةٍ ولا بأيِّ شيءٍ من وسائل التشخيص والتعيينِ والتحديد.

ماذا يقولُ إمامنا الصادقُ صلواتُ الله عليه؟

إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً - اسمٌ مخلوق - **خَلَقَ اسْماً** - هذا هو اسمهُ الأعظمُ الأعظمُ الأعظم - **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً بِالحُرُوف غَيْرَ مُتَصَوِّتْ** - ليسَ هناكَ من ألفاظ، من أصواتٍ نستطيعُ أن نُشيرَ بها إلى هذا الاسم - **إِنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً، بِالحُرُوف غَيْرَ مُتَصَوِّتْ وَبِاللَّفْظ غَيْرَ مُنْطَقْ** - هي هذه الجُملةُ كافية: (**بِالحُرُوف غَيْرَ مُتَصَوِّتْ**) لكنَّ الإمام يُنوِّعُ التعابير لتشديد المعنى وتأكيده في أذهاننا، فحينما يقولُ الإمامُ صلواتُ الله عليه: (**بِالحُرُوف غَيْرَ مُتَصَوِّتْ**)، هذا يعني من أنَّنا لا نملكُ إشارةً مطلقاً، لأنَّ الحروف أصوات، ولأنَّ الأصواتَ إشارات، وهذه الإشاراتُ هي مُفرداتُ الذهنِ والعقلِ للتحديد والتشخيص والتعيين والتمييز، فإذاً انتفت كُلُّ هذه المفردات، لكنَّ الإمام يريدُ أن يُغلق جميع الأبواب، يريدُ أن يضع خطَّين متقاطعين على كُلِّ الاحتمالات، لذا يقول: **إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْماً بِالحُرُوف غَيْرَ مُتَصَوِّتْ وَبِاللَّفْظ غَيْرَ مُنْطَقْ** - هناك دقَّةٌ في التعابير؛ الحروف أصوات (**بِالحُرُوف غَيْرَ مُتَصَوِّتْ**) الحروفُ أصوات، ما هو الحرف؟ الحرف صوتٌ، الحرفُ ليسَ هو هذا الَّذي يُكتَبُ على الورق، مثلاً حينما أكتبُ حرفَ الباء، فحرفُ الباء ليسَ هوَ هذا الَّذي يُكتب، هذا رمزٌ لصوت الباء، هذا وجودٌ رمزيٌّ، وجودٌ خطيٌّ، وجودٌ كتبيٌّ، قولوْا ما تشاءون، هذا وجودٌ كتبيٌّ للحرف، أمَّا الحرفُ في أصله فهو صوتٌ، هوَ صوتٌ ينطلقُ من منظومة الصوت عند الإنسان، الصوتُ يَصدرُ من منظومة مُتكاملة عند الإنسان، ما بين الحُنجرة والحبال الصوتية، ما بين التجويف الحلقي والتجويف الفموي، ما بين اللهوات واللسان، وحتَّى ما يرتبطُ بجهازِ التنفسِ عندَ الإنسان، وللأسنانِ مدخليَّةٌ، و للشفاه أيضاً، ولحركة الفكين إلى بقيّة التفاصيل، وحتَّى جهازُ السَّمع لهُ مدخليةٌ في منطقنا وفي أصواتنا، هذه منظومةٌ مُتكاملةٌ مُعقَّدة، الحروفُ أصواتٌ بينَما الألفاظُ تكونُ منطوقةً، والنطقُ يتألَّفُ من أصوات، فالكلمةُ تتألَّفُ من حروفٍ والحروفُ أصواتٌ، هذهِ الأصواتُ تُنسجُ بطريقة معيّنة، إنَّها اللغةُ وأسرارها..

وَبِالشَّخْصِ غَيْرَ مُجَسَّد وَبِالتَشْبِيهِ غَيْرَ مَوصُوف وَبِاللَّونِ غَيْرَ مَصْبُوغ - قلتُ لكم من أنَّ الإمام يريدُ أن يضع خطينِ مُتقاطعينِ على كُلِّ الاحتمالات الَّتي يستطيعُ العقلُ من خلالها أن يضعَ تحديداً، أن يضعَ تشخيصاً، أن يضعَ تجسيداً، أن يضعَ تمييزاً، أن يضعَ تصويراً، أن يضعَ تخييلاً، أن يضعَ وهماً وتوهماً، قولوْا ما تشاءون، خلاصةُ الكلامِ عقولنا في قطيعة مع كُنه الحقيقة الـمُحَمَّديَّة.

مَنْفِيٌّ عَنْهُ الأَقْطَار - ليسَ هناك من حدود، في كُلِّ الاتجاهات، لا في الاتجاهات المادية، ولا في الاتجاهات المعنوية، ولا في الاتجاهات البرزخية ما بين المادة والمعنى، فهناك اتجاهٌ ماديٌّ، وهناك اتجاهٌ معنويٌّ، وهناك اتجاهٌ برزخيٌّ ما بين المادة والمعنى - **مَنْفِيٌّ عَنْهُ الأَقْطَار** - مُطلقاً - **مُبَعَّدٌ عَنْهُ الحُدُود، مَحْجُوبٌ عَنْهُ حِسُّ كُلِّ مُتَوَهِّم، مُسْتَتِرٌ غَيْرُ مَسْتُور** - لم تكن الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ مستورةً، لكنَّها مستترةٌ بالنسبة لنا، هي واضحةٌ، هي ظاهرةٌ، هي مشرقةٌ، هي غيرُ مستورة، لكنَّها مُستترةٌ، مُستترةٌ بالنسبة لنا، فما بيننا وبينها لا يوجدُ سببُ اتصال، هناك قطيعةٌ قُطعت عقولنا عن اكتناهها، عن معرفةِ كُنهها، هذا هو المَقطعُ الأوَّلُ وهو واضحٌ جِدّاً.

نحنُ هكذا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة وأنا أقرأ عليكم من (مفاتيح الجنان)، ماذا نقرأ في عبائرِ هذه الزيارة الشريفة؟ الخطابُ هنا ليسَ للحقيقة الـمُحَمَّديَّة، الخطابُ لأئمَّتنا لـمُحَمَّد وعليٍ وفَاطمَة وأبناء فَاطمَة من المجتبى إلى القائم، الخطابُ لهؤلاء: **مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُم** - لا أستطيعُ أن أفعلَ ذلك، في كثيرٍ من الأحايينَ أرغبُ أنَ أشكر إمامي ثُمَّ أتراجَعُ عَن ذلك، هذا يحدثُ معي كثيراً، لا أدري كيف أشكرهُ - **مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُم** - فكيفُ أشكرِ إمامي؟ لأيِّ فضلٍ؟ على أيِّ نعمة؟

مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُم وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُم وَمِنَ الوَصْف قَدْرَكُم - فماذا سأصنع؟ سأصفهم بما حدَّثوني بمستوى عقلي، هذا هو الَّذي سأقوم به: **وَأَنْتُم نُورُ الأَخْيَارِ وَهُدَاةُ الأَبْرَار** - هذا وصفٌ لهم بحدود عقلي، وهم علَّموني، هم علَّموني، ونحنُ هكذا مع الحقيقةِ الـمُحمَّديَّة هكذا، وأمَّا معهُ سُبحانهُ وتعالى فشأنهُ عجيب كما يقولُ إمامنا الصَّادق شَأنهُ عَجَب!

جميلٌ ما جاء في (مُناجاة الذاكرين) جميلٌ جِدَّاً عن إمامنا السجَّاد صلواتُ الله وسلامهُ عليه أقرأ عليكم من المفاتيح: **إِلَهِي إِلَهِي لَوْلَا الوَاجِبُ من قَبُولِ أَمْرِك لَنَزَّهْتُكَ مِنْ ذِكْرِي إِيَّاك** - هذه هي الحقيقةُ في أفق التوحيد الأوَّل، في الركنِ الأوَّل من أركانِ عقيدتنا التوحيدية، وهي هي في الأفقِ الثاني، فالحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ وجهُ الله الأجمل الأكمل الأعظم الأنور الأتم، والكلامُ هو هو مع مُحَمَّد وعلي وفَاطمَة وأبناء فَاطمَة من المجتبى إلى القائم - **لَوْلَا الوَاجِبُ من قَبُولِ أَمْرِك لَنَزَّهْتُكَ مِنْ ذِكْرِي إِيَّاك عَلَى أَنَّ ذِكْرِي لَكَ بِقَدْرِي لَا بِقَدْرِك، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ مِقْدَارِي حَتَّى أَجْعَلَ مَحَلَّاً لِتَقْدِيسِك وَمَنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ عَلَيْنَا جَرَيَانُ ذِكرِكَ عَلَى أَلْسِنَتِنَا وَإِذْنُكَ لَنَا بِدُعَائِك وَتَنْزِيهِكَ وَتَسْبِيحِك** - من أجمل المناجيات لَا أجدُ وقتاً لإكمال قراءتها.

وأعودُ إلى دستورنا العقائدي الشيعي إلى (الزيارة الجامعة الكبيرة): **مَوَالِيَّ لَا أُحْصِي ثَنَاءَكُم، وَلَا أَبْلُغُ مِنَ الْمَدْحِ كُنْهَكُم وَمِنَ الوَصْف قَدْرَكُم** - والكلامُ هو هو في جهة ثانية من نفس الزيارة الشريفة: **بِأَبِي أَنْتُم وَأُمِّي وَنَفْسِي كَيْفَ أَصِفُ حُسْنَ ثَنَائِكُم وَأُحْصِي جَمِيلَ بَلَائِكُم** - هذه أبوابٌ مُغلَّقةٌ بوجوهنا، فَا طمَةُ فَاطمَة لأنَّ عُقولَ الخَلْق قد قُطمت قُطعت عن معرفتها، المَنطقُ هو المنطق، والحقيقةُ هي الحقيقة، نُورٌ عَلَى نُور.

بعد عرضِ كُلِّ المعطيات الَّتي وضعتها على الطَاولةِ بينَ أيديكم، أنتم احكموا بأنفسكم هل هو مُحكمٌ أم متشابه؟

الـمُحكمُ؛ الواضح.

والمتشابهُ؛ غير الواضح.

أنتقلُ بكم إلى المقطع الثاني:

فَجَعَلَهُ - اللهُ جعل هذا الاسم الَّذي مرّ الحديثُ عنه - **فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً** - الكلمةُ التامَّة هي الكلمةُ الَّتي لا نقصَ فيها، هي الكلمةُ الَّتي لا عيبَ فيها - **فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً** - إن كُنَّا نتحدَّثُ في عالم اللغة فالمرادُ من الكلمة التامة هي الكلمةُ الَّتي حينَ تُلفظُ تُلفظُ بحروف صحيحة من مخارجها الصحيحة، وتُحرَّكُ تحريكا لُغوياً صحيحاً بحسبِ قواعد علم اللغة، وتكونُ في هيئة صرفية على أتمِّ وجه، وبعد ذلك إذا ما جاءت في سياقِ كلامٍ تكونُ مُشكَّلةً مُحرّكةً بتحريك إعرابيٍ صحيح، وأن توضع في الموضع الصحيح من الكلام، حينئذٍ ستكونُ كلمةً تامَّةً من جهة اللفظ واللغة والهيئة والإعرابِ والمعنى، تلكَ هي الكلمةُ التامَّة في أجواء اللغة والكلام. لكنَّ الحديث هنا ليس عن أجواء اللغة والكلام، إنَّها أجواء الحقيقة، إنَّها أجواء التجلي الإلهي، حيثُ تجلَّى اللهُ بهذه الكلمة التامَّة.

فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً - جعلَ الاسم المخلوق بالمواصفات المتقدِّمة - **فَجَعَلَهُ كَلِمَةً تَامَّةً عَلَى أَرْبَعَة أَجْزَاء مَعاً** - ليسَ هناكَ من جزء مُتقدِّمٍ وليسَ هناكَ من جزءٍ مُتأخِّرٍ، لماذا؟ لأنَّ الحقيقة الـمُحَمَّديَّة حقيقةٌ بسيطةٌ، وما هي بحقيقة مُركبة، إنَّما تكونُ مُركَّبةً من جهة عُبوديَّتها، فمَا هي بحقيقة تمتلكُ الألوهيةَ الكاملة هي حقيقةٌ إلهيةٌ، لأنَّ الله جعلها وجههُ واستقرّت في ظلِّه فلا تخرجُ من ظلِّه إلى غيره، هي حقيقةٌ إلهيّةٌ، وهي حقيقةٌ بسيطةٌ ما هي بمركبة من أجزاء، والأجزاء هذه تعبيرٌ لا نستطيع أن نتجاوزهُ لأجلِ ما سيكونُ من تفريعٍ في الكلامِ في بقيّة الحديث، هذه الأجزاء تجلياتٌ وما هي بأجزاء، أتعرفون ما المراد من البساطة؟ المرادُ من البساطة هو عدمُ الحاجة، لأنَّنا إذا قلنا على سبيل المثال؛ منَ أنَّ الله سُبحانهُ وتعالى مُركَّبٌ من أجزاء هذا يعني أنَّهُ سيكونُ مُحتاجاً إلى تركيبِ أجزائه وإلى اجتماعِ أجزائه فيما بينها، واللهُ سُبحانه وتعالى لن يكون مُحتاجاً وليس محتاجاً في أيِّ مقامٍ من المقامات، فحينما نُركِّبهُ عقائدياً فإنَّنا ننسبُ إليه الحاجة إلى اجتماعِ أجزائه، من هنا فإنَّنا ننسبُ إليه الحاجة باجتماعِ أو إلى اجتماعِ أجزائه، من هنا نقولُ من أنَّهُ حقيقةٌ بسيطةٌ بحسبِ تعابيرنا، هذا هو الَّذي نقدرُ عليه.

فَأَظْهَرَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَسْمَاء - هذا هو الوجهُ الظاهر من الحقيقة الـمُحَمَّديَّة - **فَأَظْهَرَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَسْمَاء لِفَاقَة الخَلْقِ إِلَيْهَا** - الفاقةُ الحاجة، إنَّني مُفتاقٌ؛ إنَّني مُحتاجٌ، عندي فاقةٌ، هناكَ مُشتاقٌ عندي شوقٌ، وهناكَ مُفتاقٌ عندي فاقةٌ، والفاقةُ هي الحاجةُ الشديدةُ والشديدةُ جِدَّاً - **فَأَظْهَرَ مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَسْمَاء لِفَاقَة الخَلْقِ إِلَيْهَا وَحَجَبَ مِنْهَا وَاحِداً وَهُوَ الاسْمُ المَكْنُونُ المَخْزُون** - ذاكَ الَّذي استقرَّ في ظلِّه فلا يخرجُ منهُ إلى غيره، أعتقدُ أنَّ الكلام واضحٌ، وما هوَ بكلامٍ مُتشابه، كلامٌ مُحكم، فذلك الاسمُ الَّذي خلقهُ بتلكَ المواصفات الَّتي مرّت جعلهُ كلمةً تامَّة في أربعة أجزاء معاً من دونِ أن يتقدَّم جزء على جزء وتلك هي التجليات، أظهر من هذه الأجزاء ثلاثة أسماء، فإذاً الأجزاء هي أسماء، والأسماء هي تجليات، فتلكَ الأجزاء الَّتي تحدَّث عنها الإمامُ هي الأسماء، لكنَّهُ وصفها بالأجزاء ثُمَّ عاد فوصفها بالأسماء لأجلِ تسهيل الفهمِ على المتلقي.

- وَحَجَبَ مِنْهَا وَاحِداً وَهُوَ الاسْمُ المَكْنُونُ المَخْزُون.

إذاً وصلنا إلى هذه النتيجة: سبحانهُ وتعالى خلقَ اسماً بتلكم المواصفات الَّتي تخبرنا من أنَّ عُقولنا ليست قادرةً على اكتناهه على الاقترابِ من حقيقته، وهذا الاسمُ مُستترٌ غير مستور، هو ظاهرٌ مُشرقٌ لكنَّهُ مستترٌ بالنسبةِ لنا، مستترٌ على عقولنا بسببِ محدوديةِ مداركنا، فبعدَ أن خلقهُ جعلهُ كلمةً تامَّة على أربعة أجزاء تجلَّت في تلكَ الكلمة أربعُ تجليات هي في الحقيقة مجامعُ أسمائها، فأظهرَ اللهُ من تلكَ الأسماء ثلاثةً لفاقة الخلق إليها وحَجَبَ الاسم الرابع فكَانَ اسماً مخزوناً وسراً مَصوناً عندهُ سبحانهُ وتعالى، أعتقدُ أنَّ الكلام مُحكَمٌ ليسَ فيهِ من تشابه.